

البحث الثالث: وجوب اتباع السنن والتحذير من المعاصي والبدع:

وردت في كتاب الله آيات كثيرة تدلُّ على الترغيب في اتباع ما جاء به الرسول ﷺ، والحث على ذلك والتحذير من مخالفته ﷺ فيما جاء به من الحق والهدى والوقوع في الشرك والبدع والمعاصي، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾، وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال ابن كثير في تفسيره: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كلِّ مَنْ ادَّعى محبة الله وليس هو على الطريقة الحمديّة، فإنّه كاذبٌ في نفس الأمر حتى يتبع الشرع الحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، ولهذا قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إيّاه، وهو محبته إيّاكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تُحِبَّ، إنّما الشأن أن تُحَبَّ، وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قومٌ أنّهم يُحِبُّونَ اللَّهَ فابتلاهم الله بهذه الآية فقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

ومن ذلك: قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام، آية: ١٥٣]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب، آية: ٣٦]، وقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور، آية: ٦٣]، قال ابن كثير في تفسيره: أي: "عن أمر رسول الله ﷺ، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردودٌ على قائله وفاعله كائنًا من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، أي: فليحذر وليخش مَنْ خالف شريعة الرسول باطنًا وظاهرًا ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا بقتل أو حدٍّ أو حبس أو نحو ذلك".

أما السنة فقد ورد فيها أحاديثٌ عديدة تدلُّ على الترغيب في اتباع السنن والتحذير من البدع، وتبين خطرهما، منها: قوله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» (١) وهذا لفظ البخاري، وفي لفظ لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، وهذه الرواية عند مسلم أعمُّ من الرواية الأخرى؛ لأنّها تشمل مَنْ أحدث البدعة ومَنْ تابع مَنْ أحدثها، وهو دليل على أحد شرطي قبول العمل، وهو اتباع الرسول ﷺ؛ لأنَّ كلَّ عمل يُقَرَّبُ به إلى الله لا يكون مقبولاً عند الله إلاّ إذا توفّر فيه شرطان:

أحدهما: تجريد الإخلاص لله وحده، وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله.

والثاني: تجريد المتابعة للرسول ﷺ، وهو مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله،

١ - قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك، آية: ٢]: «أخلصه وأصوبه، قال: فإنَّ العملَ إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنَّة» (٢).

٢ - قال العرياض بن سارية رضي الله عنه: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، قال قائل: يا رسول الله! كأنَّ هذه موعظة مودِّع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة» (٣).
فقد أخبر رضي الله عنه عن حصول الاختلاف قريباً من زمنه رضي الله عنه، وأنه يكون كثيراً، وأنَّ من عاش من أصحابه يرى ذلك، ثم أرشد إلى ما فيه العصمة والسلامة، وهو اتباع سنَّته وسنَّة الخلفاء الراشدين وترك البدع ومحدثات الأمور، فرعَّب في السنَّة وحثَّ عليها بقوله: «فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء المهديين الراشدين»، ورهَّب من البدع والمحدثات بقوله: «وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ محدثة بدعة وكلَّ بدعة ضلالة».

٣ - روى مسلم في صحيحه (٤) عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب يوم الجمعة قال: «أمَّا بعد، فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكلَّ بدعة ضلالة».

٤ - وفي الصحيحين: قال رسول الله ﷺ: «فمن رغب عن سنَّتي فليس منِّي» (٥).

٥ - روى مسلم في صحيحه حديث جابر الطويل في حجة الوداع قوله رضي الله عنه: «وقد تركتُ فيكم ما لن تضلُّوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تُسألون عني، فما أنتم فائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأدَّيت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد! اللهم اشهد! ثلاث مرات» (٦).

٢- الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٨/٢٥٠.

٣ - رواه أبو داود في السنن رقم ٤٦٠٧، وهذا لفظه، والترمذي في السنن رقم ٢٦٧٦، وابن ماجه في السنن رقم ٤٣ و ٤٤ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٤ - صحيح مسلم رقم ٨٦٧

٥ - رواه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١)

٦ - أخرجه مسلم في الصحيح رقم ١٢١٨.

٦ - وروى البخاري في صحيحه (٧) عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «كلُّ أمّتي يدخلون الجنة إلا من أبا، قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبا.»

٧ - ورويا في صحيحهما عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم؛ فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم» (٨).

كما وردت نصوص الكتاب والسنة في الترغيب في اتباع السنن والتحذير من البدع، فقد جاءت آثار كثيرة عن سلف هذه الأمة المتبعين للكتاب والسنة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، فيها الحث على اتباع السنة والتحذير من البدع وبيان خطرهما، ومن ذلك:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفِّتُمْ" (٩).

قال عثمان بن حاضر: دخلت على ابن عباس، فقلت: أوصني، فقال: "نعم! عليك بتقوى الله والاستقامة، اتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ" (١٠).

قال عبد الله بن مسعود: "من سرّه أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهنّ؛ فإنّ الله شرع لنبِيِّكم سنن الهدى، وإنَّهنَّ من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يُصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم..." (١١).

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "كلُّ بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة" (١٢).

وكتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر، فكتب: "أمّا بعد، أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة؛ فإنها لك بإذن الله عصمة..." (١٣).

٧- صحيح البخاري رقم ٧٢٨٠.

٨- أخرجه البخاري في الصحيح رقم ٧٢٨٨ ومسلم في الصحيح رقم ١٣٣٧.

٩- أخرجه الدارمي في المسند رقم ٢١١.

١٠- أخرجه الدارمي في المسند رقم ١٤١.

١١- أخرجه مسلم في الصحيح رقم ٦٥٤.

١٢- أخرجه محمد بن نصر المروزي في السنة رقم ٨٢.

١٣- رواه أبو داود في السنن رقم ٤٦١٢.

قال الإمام مالك رحمه الله: "مَنْ ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة؛ لأنَّ الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [سورة المائدة، آية: ٣]، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً" (١٤). قال الإمام أحمد رحمه الله: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والافتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة ضلالة" (١٥).

تعريف البدعة لغة واصطلاحاً:

البدعة لغة: الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مخترعهما من غير مثال سابق، ويقال: ابتدع فلان بدعة، يعني: ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق، وهذا أمر بديع، يقال، في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن. ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة، فاستخرجها للسلوك عليها هو الابتداع، وهيئتها هي البدعة، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة، وهذا التعريف يشمل كل ما أحدث في الدين مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأما ما له أصل في الشرع يدل عليه، فليس ببدعة شرعاً، وإن سمي بدعة لغة.

ويمكن حينئذ تعريف البدعة في الشرع بأنها: "ما أحدث مما لم يكن له أصل في الدين"، وهي مقابلة للسنة، فمن هذا المعنى سمي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة. فالبدعة في الشرع: "طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه".

أنواع البدع:

البدع اعتقادية وفعلية وقولية

والبدع أنواع: اعتقادية، وقولية، وفعلية، والفعلية زمانية ومكانية، فأما البدع الاعتقادية: فمثل بدع الخوارج والروافض والمعتزلة وغيرهم ممن تعويلهم على علم الكلام، وفيهم من تعويلهم مع ذلك على الروايات المكذوبة، قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله:

١٤- الاعتصام للشاطبي ٢٨/١.

١٥- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ص ٣١٧.

"أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أنّ أهل الكلام أهلُ بدع وزيف، ولا يُعدُّون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإتّما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز" (١٦).

البدع اللفظية: ومنها التلفظ بالنية، كأن يقول: نويْتُ أن أصلي كذا، نويْتُ أن أصوم كذا، وغير ذلك، ولا يُستثنى من ذلك إلا أمرين: المناسك، فللمعتمر أن يقول: لبَّيك عمرة، وللمفرد أن يقول: لبَّيك حجًّا، وللقارن أن يقول: لبَّيك عمرة وحجًّا؛ ومنها النية عند ذبح الأضحية، لأنّه ورد في السنّة ما يدلُّ على ذلك، وإن خالف البعض فيه.

ومن البدع اللفظية: ما يزيده بعض المؤذنين عقب الأذان، أو ما يفعلونه قبل صلاة الفجر من تواشيح، ومنها سؤال الله بجاه فلان وبحقِّ فلان، ونحو ذلك ممّا لم يرد به سنّة ثابتة عن رسول الله ﷺ.

ومن البدع القولية ما يكون كفرًا: كدعاء أصحاب القبور، وطلب الغوث منهم، وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف الكربات، وغير ذلك ممّا لا يُطلب إلا من الله، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن آية: ١٨]، وقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا﴾ [سورة النمل آية: ٦٢].

وأما الحكم على من حصل منه ذلك بالكفر فيكون بعد إقامة الحجة، وهو قول كثير من أهل العلم، أولهم الإمام محمد ابن إدريس الشافعي رحمه الله.

والبدع الفعلية مكانية وزمانية، فمن البدع المكانية التمسح بالقبور وتقيلها، قال النووي: "ولا يُغتر بمخالفة كثيرين من العوام وفعلهم ذلك؛ فإنَّ الاقتداء والعمل إمّا يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء، ولا يُلتفتُ إلى مُحدثات العوام وغيرهم وجهالاتهم، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أنّ رسول الله ﷺ قال: «من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد»، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عليّ؛ فإنَّ صلواتكم تبلغني حيثما كنتم» رواه أبو داود بإسناد صحيح (١٧).

ومن البدع الزمانية الاحتفال بالموالد، كالاحتفال بمولده ﷺ، فإنّها من البدع المحدثّة في القرن الرابع الهجري، ولم يأت عن النبيّ ﷺ وخلفائه وصحابته شيءٌ من ذلك، بل لم يأت عن التابعين وأتباعهم، وقد مضت الثلاثمائة سنة الأولى قبل أن توجد هذه البدعة، والكتب التي أُلِّفت في تلك الفترة لا ذكر للموالد فيها،

وإنما كانت ولادة هذه البدعة في القرن الرابع الهجري، أحدثها العبيدِيُّون الذين حكموا مصر، وقد ذكر ذلك تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي (١٨).

ولا شك أن محبة النبي ﷺ يجب أن تكون في قلب كل مسلم أعظم من محبته لأبيه وأمه وابنه وبنته وسائر الناس؛ لقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» رواه البخاري ومسلم، ومحبته ﷺ إنما تكون باتباعه والسير على نهجه ﷺ، وليس بالبدع المحدثه، كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

اتباع البدع ضلال:

البدع كلها ضلال؛ لعموم قوله ﷺ في حديثي جابر والعرباض المتقدمين: «وكلُّ بدعة ضلالة»، وهذا العموم في قوله ﷺ: «وكلُّ بدعة ضلالة» يدلُّ على بطلان قول من قال: إنَّ في الإسلام بدعة حسنة، وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما في الأثر الذي تقدّم ذكره قريباً: "كلُّ بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة»، ولا يقال: إنَّ في الإسلام بدعة حسنة؛ لقوله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» (١٩)؛ لأنَّ المراد به السَّبْق إلى فعل الخير والافتداء بذلك السابق كما هو واضح من سبب الحديث المذكور في صحيح مسلم قبل إيراد هذا الحديث، وحاصله أنَّ جماعة من مُضَرَّ قَدِمُوا المدينة، يظهر عليهم الفقر والفاقة، فحثَّ رسول الله ﷺ على الصدقة، فجاء رجلٌ من الأنصار بصرَّة كادت يده تعجز عن حملها، فتتابع الناس بعده على الصدقة، فعند ذلك قال النبي ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة» الحديث، ويدخل في معناه أيضاً من أحيا سنَّة ثابتة عن رسول الله ﷺ في بلد لم تكن ظاهرة فيه، وأمَّا أن يكون معناه الإحداث في الدين فلا؛ لقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ».

خطر البدع وبيان أنَّها أشدُّ من المعاصي:

البدعُ خطرُها كبير، وخطبُها جسيم، والمصيبة بها عظيمة، وهي أشدُّ خطراً من الذنوب والمعاصي؛ لأنَّ صاحب المعصية يعلم أنَّه وقع في أمر حرام، فيتركه ويتوب منه، وأمَّا صاحب البدعة، فإنَّه يرى أنَّه على حقِّ

١٨ - المواظ بذكر الخطط والآثار ١/٤٩٠.

١٩ - أخرجه مسلم في الصحيح ١٠١٧.

فيستمر على بدعته حتى يموت عليها، وهو في الحقيقة متبع للهوى وناكب عن الصراط المستقيم، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وقال: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾، وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَجَبِ التَّوْبَةِ عَنِ كُلِّ صَاحِبِ بَدْعَةٍ حَتَّىٰ يَدَعَ بَدْعَتَهُ»، أورده المنذري في كتاب الترغيب والترهيب (٢٠) فما هي البدعة؟

تهافت عقائد المتدعة في مواجهة عقائد أهل الحديث

من أكمل النعم وأتمها على أهل الإيمان، أن رزقهم الله قلوباً بها يفقهون وبصائر بها يستبصرون، فهم على بصيرة بما ينفعهم في دنياهم وآخراهم، فقد خالط الإيمان بشاشة قلوبهم، وامترجت محبة الله ورسوله بدمائهم، فأثمرت نوراً يشع من بين أيديهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، فهم يمشون به في الناس، كما قال جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ (٢٨) [سورة الحديد آية: ٢٨].

وعلى النقيض التام، حال أهل الابتداع، الذين تلاطمت في قلوبهم أمواج الشبهات الباطلة، وأفسدت عقولهم الخيالات الفاسدة؛ من الظنون، التي يسميها أهلها القواطع العقلية، وهي عند التحقيق كما قال تعالى: ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ. أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [سورة النور آية: ٤٠].

لابد مع حسن القصد من موافقة السنة

قد يقول من يهون من شأن البدع: إن الذي يأتي بالبدعة متقرباً بها إلى الله قصده حسن، فيكون فعله محموداً بهذا الاعتبار، والجواب: أنه لا بد مع حسن القصد أن يكون العمل موافقاً للسنة، وهو أحد الشرطين اللذين تقدم ذكرهما لقبول العمل الصالح، وهما الإخلاص لله، والمتابعة لرسوله ﷺ، نقل الحافظ في الفتح: عن ابن أبي جمرة: "إن العمل وإن وافق نية حسنة لم يصح إلا إذا وقع على وفق الشرع" (٢١).

٢٠- ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٨٦، وقال: رواه الطبراني، وإسناده حسن، وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني

.١٦٢٠

٢١- فتح الباري ١٠/١٧.

ويدلُّ لذلك أيضاً ما في رواه الدارمي بإسناد صحيح أنَّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه جاء إلى أناس متحلِّقين في المسجد، وبأيديهم حصى، وفيهم رجلٌ يقول: كَبُرُوا مائة، فَيُكَبِّرُونَ مائة يَعُدُّون بالحصى، ويقول: هَلَّلُوا مائة، سَبَّحُوا مائة كذلك، فوقف عليهم فقال: "ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نعدُّ به التكبيرَ والتهلِيلَ والتسييحَ، قال: فَعُدُّوا سَبِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيْعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيُحْكَمَ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا أَسْرَعَ هَلَكَتِكُمْ! هُوَ لَاءَ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبُلْ، وآنيته لم تُكسر، والذي نفسي بيده إنَّكم لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مَفْتَحُو بَابِ ضَلَالَةٍ؟! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلاَّ الخير، قال: وكم من مرید للخير لن يصيبه... "(٢٢).

المصالح المرسله ليست من البدع:

المصلحة المرسله هي المصلحة التي لم يأت الشرع باعتبارها أو إلغائها، وهي وسيلة إلى تحقيق أمر مشروع، مثل جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، وتدوين الدواوين، وكتابة أصحاب العطاء في ديوان؛ فإنه لم يأت في الشرع نصٌّ على إثباتهما أو المنع منهما، فأما جمع القرآن فهو سبيل إلى حفظه وعدم ضياع شيء منه، وفيه تحقيق قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وقد توقَّف أبو بكر رضي الله عنه عندما أشار عليه عمر رضي الله عنه في جمعه، وقال: "كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يُراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيْتُ الذي رأى عمر "(٢٣)، وجمَّع أبي بكر رضي الله عنه القرآنَ كان في صُحف، وأما جمَّع عثمان رضي الله عنه فكان في مصحف.

وأما تدوين الدواوين فكان في عهد عمر رضي الله عنه لَمَّا كَثُرَتِ الْفَتْوحَاتُ وَكَثُرَتِ الْغَنَائِمُ وَالْفِيءُ، فَاحْتِيَجَ إِلَى تَدْوِينِ أَسْمَاءِ الْجُنُودِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعَطَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَوْجُوداً قَبْلَ زَمَنِهِ صلى الله عليه وسلم، وَذَلِكَ سَبِيلٌ إِلَى إِصْصَالِ الْحَقُوقِ إِلَى أَهْلِهَا وَعَدَمِ سَقُوطِ شَيْءٍ مِنْهَا، إِذَنْ: لَا يُقَالُ: إِنَّ مِنَ الْبَدْعِ مَا هُوَ حَسَنٌ إِحْقَاقاً بِالْمَصَالِحِ الْمُرْسَلَةِ؛ لِأَنَّ الْمَصَالِحَ الْمُرْسَلَةَ فِيهَا الْوَصُولُ إِلَى تَحْقِيقِ أَمْرٍ مَشْرُوعٍ، بِخِلَافِ الْبَدْعِ الَّتِي فِيهَا اتِّهَامُ الشَّرِيعَةِ بِالنَّقْصَانِ، كَمَا مَرَّ بَيَانُ ذَلِكَ فِي كَلَامِ الْإِمَامِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأما جمَّع عمر رضي الله عنه النَّاسَ فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ عَلَى إِمَامٍ يَصَلِّي بِهَمْ، فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ إِظْهَارِ السَّنَةِ وَإِحْيَائِهَا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم صَلَّى بِالنَّاسِ بَعْضَ اللَّيَالِي فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، وَتَرَكَ الْإِسْتِمْرَارَ فِيهِ خَشْيَةً أَنْ يُفْرَضَ عَلَى الْأُمَّةِ، رَوَى

٢٢ - مسند الدارمي رقم ٢١٠، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم ٢٠٠٥.

٢٣ - رواه البخاري في الصحيح رقم ٤٦٧٩.

ذلك البخاري(٢٤)، ولمَّا توفي رسول الله ﷺ وزال مقتضى الفرض بانقطاع الوحي بقي الاستحباب، فجَمَعَ عمرُ ﷺ الناسَ على صلاة التراويح، وقول عمر ﷺ في صلاة التراويح كما في البخاري: "نعم البدعة هذه"(٢٥)، المراد به البدعة في اللغة لا في الشرع.

الفصل الثالث

حفظ السنة وتدوينها في عصر النبوة

٢٤- راجع صحيح البخاري رقم ١١٢٩.

٢٥- أخرجه البخاري في الصحيح ٢٠١٠.

مدخل:

يعد تدوين السنة النبوية واحدًا من أعظم العمليات في تاريخ الإسلام على نحو عام، فقد أفنى فيها أجيال من العلماء أعمارهم، وركزوا فيها أخلص جهودهم، واستخدموا لإنجاحها نبوغهم وإبداعهم وثاقب فكرهم، ولقد نالت من اهتمامهم وعنايتهم الشيء الكثير، وهي تحظى في الدرس الحديثي بمكانة خاصة متميزة من حيث قيمتها والأهمية التي تكتسبها، وذلك لكونها المرآة المجلية لطبيعة عمل المحدثين تجاه السنة النبوية، وحقيقته وآثاره، والمبرزة للمقاصد والأغراض التي كانوا يطمحون إلى تحقيقها من وراء هذه العملية والتي وجد فيها ما هو منهجي، وما هو نقدي، وما هو عقدي، وما هو أصولي، وما هو فقهي استنباطي، وما هو حضاري. وبناء على هذا فهي ميدان خصب تحرك في إطاره المحدثون في خدمتهم للسنة النبوية وعنايتهم بها، فهي الواجهة التي تعكس حقيقة اتجاهاتهم واختياراتهم، الأمر الذي يجعل من هذه القضية إحدى القضايا التي تتطلب الدرس العميق والبحث الموسع.

المبحث الأول: التوفيق بن النهي عن التدوين وإباهته:

الفرق بين الكتابة والتدوين والتصنيف

معنى الكتابة لغة:

قال ابن منظور في لسان العرب مادة كتب: "كَتَبَ الشَّيْءَ يَكْتُبُهُ كِتَابًا وَكِتَابًا وَكِتَابَةً، وَكَتَبَهُ: حَطَّهُ؛ قَالَ أَبُو النُّجْمِ:

أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ زِيَادٍ كَالْحَرْفِ ... تَحَطُّ رِجْلَايَ بِحَطِّ مُخْتَلِفٍ
تُكْتَبَانِ فِي الطَّرِيقِ لَمْ أَلْفُ"

ونقل عن الأزهري في معنى الكتاب أنه اسم لما كُتِبَ مَجْمُوعًا. فمعنى الكتابة هو النسخ وخط الحروف وهي عملية يسيرة تتحقق في القليل مما قد يقع على ورقة ونحوها.

معنى التدوين لغة:

أما التدوين فالذي يظهر من معناه اللغوي أنه لا يتحقق إلا في الشيء الكثير، وهو بذلك لا يرادف معنى الكتابة؛ لأنه لا يماثلها في البساطة، بل هو أوسع وأشمل وربما أعقد، فالديوان هو كما قال ابن منظور: مُجْتَمَعُ الصُّحُفِ، وجمعه: دَوَائِيْنٌ وَدَيَاوِيْنٌ، وعليه فيكون التدوين هو عملية ضمِّ الصحائف إلى بعضها، وجمع ما تَمَّتْ كتابته فيها في كتاب كبير هو الديوان.

معنى التصنيف لغة:

يظهر من الدلالة اللغوية لهذه الكلمة أن الفارق بينها وبين التدوين لا يرجع إلى القلة والكثرة كما هو الحال بين كلمتي الكتابة والتدوين، وإنما يتمثل في معنى آخر لا بد أن يتضمنه التصنيف وهو الترتيب والتمييز والتبويب، فقد جاء في القاموس المحيط للفيروزابادي: "الصَّنْفُ والصَّنِيفُ: النوع والضَّرْبُ. جمع "أصناف وصنوف". وبالكسر وحده (أي الصَّنِيفُ) الصفة، ثم قال: صَنَّفَهُ تصنيفًا جعله أصنافًا، وميز بعضها عن بعض"، وقال المناوي في التعاريف: "الصنف الطائفة من كل شيء أو النوع يقال: صَنَّفَ متاعه جعله أصنافًا، ومنه تصنيف الكتب" (٢٦).

مما سبق يتبين أن السنة النبوية خضعت للتطور من هذه الناحية، فإن المراحل التي تدرجت عبرها منها ما

ينبغي أن يسمى كتابة لا غير، ومنها ما ينبغي أن يسمى تدويناً لكونه لا ينطبق عليه إلا معنى التدوين، ومنها ما ينبغي أن يسمى تصنيفاً لتوافر كل مواصفات التصنيف فيه.

وقد وفق الدكتور محمد فؤاد سيديكين أيما توفيق حين قسم هذا التقسيم فجعل أطوار كتابة السنة النبوية إلى ثلاث مراحل: أولها مرحلة الكتابة، والثانية مرحلة التدوين، والثالثة مرحلة التصنيف^(٢٧).

فالكتابة ما تم في عهد النبي ﷺ والصحابة وذلك في القرن الأول الهجري، وكان التدوين في منتصف ذلك القرن مثلما سبق بأمر من عبدالعزيز بن مروان، وقد أمته ابنه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ت ١٠١هـ، وبعده مباشرة بدأت عملية التصنيف التي توسع فيها تلاميذ الزهري رحمهم الله أجمعين.

وليس هناك من الناحية الزمنية تماثل بين هذه المراحل، فمرحلة التدوين هي مرحلة استغرق تدوين الأحاديث زمناً ليس بالكثير، في حين استغرقت الكتابة نحو نصف قرن أو يزيد، بخلاف التصنيف الذي استغرق أضعاف تلك الأزمنة.

وهذا تفصيل كل مرحلة من المراحل المذكورة من الخصائص المنهجية والنقدية والعلمية.

تعدد المصطلحات:

إن مسألة المصطلح مهمة جداً في مثل هذه المجالات كما هو معلوم وهو يرمز إلى وجود التطور أو عدمه؛ وذلك لأن تعدد المصطلحات وتباينها يشير إلى أن العملية قد مرت بأطوار متعددة، وكان لها في كل مرحلة مناهج جديدة، وخصائص وميزات مباينة لما سبق، فكان لابد من تمييزها على مستوى المصطلح، أي إن وجود مصطلح واحد يعني جمودها على وضع واحد، وتعدد أشكال التطور. وبناء على ذلك فإن ما يتداول في قضيتنا هذه ليس هو مصطلح التدوين فقط، بل معه مصطلحان اثنان: هما الكتابة والتصنيف.

فمما ورد في الكتابة: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: لما فتح الله على رسول الله ﷺ مكة، قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، فقام أبو شاة - رجل من أهل اليمن - فقال: اكتبوا لي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: "اكتبوا لأبي شاة"^(٢٨).

ومثله كذلك ما ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهني قريش وقالوا: أكتب كل شيء أسمعه، ورسول الله ﷺ بَشَرٌ يتكلم في الغضب والرضا،

٢٧ - تاريخ التراث العربي ١: ٢٧٧.

٢٨ - أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب اللقطة باب ٦ ومسلم في الصحيح: كتاب الحج باب ٤٤٧.

فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأوماً بأصبعه إلى فيه فقال: "اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حقٌ" (٢٩).

ومما ورد في التدوين قول الإمام الزهري محمد بن مسلم ت ١٢٤هـ: "لم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني" (٣٠)، وقال الإمام مالك بن أنس: "أول من دون العلم ابن شهاب" (٣١).

ومما ورد في التصنيف قول عبدالرزاق الصنعاني: "أول من صنف الكتب ابن جريج" (٣٢) وقول ابن عدي عن يحيى الحماني: "إنه أول من صنف المسند بالكوفة، وقال: "وأول من صنف المسند بالبصرة مسدد، وأول من صنف المسند بمصر أسد السنة" (٣٣).

وإذا كانت هذه النقول ذات دلالات واضحة على اختصاص كل مرحلة بمصطلح، فإنه لا ينبغي القطع بذلك إلا بعد الوقوف على المعنى اللغوي لكل واحد من هذه المصطلحات (٣٤).

تدوين السنة في حياة النبي ﷺ: **الكتابة قبل الإسلام:**

كانت الكتابة معروفة عند العرب قبل الإسلام، لذلك نعجب لما ذكره بعض المؤرخين (٣٥) من أسماء سبعة عشر رجلاً من قريش هم فقط الذين يعرفون الكتابة عند دخول الإسلام. وقد استبعد بعض الباحثين أن تكون هذه الإحصائية دقيقة لما تتمتع به " مكة " من موقع جغرافي وتجاري وديني وخاصة أنه لم يذكر فيها بعض من اشتهر بالكتابة والعلم أمثال "أبي بكر الصديق" و"أبي سفيان بن حرب" وغيرهما، إضافة إلى أنه ذكرت أسماء بعض النساء المسلمات الكاتبات، منهن أم المؤمنين "حفصة" رضي الله عنها و"الشفاء بنت عبد الله القرشية" رضي الله عنها وغيرهن (٣٦).

٢٩ - أخرجه: أبو داود في السنن: كتاب العلم ٣/٣١٨ رقم ٣٦٢٩، وأحمد في مسنده ٢/١٦٢، ١٩٢، والحاكم في المستدرک ١/١٠٥-١٠٦، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/٨٥.

٣٠ - الرسالة المستطرفة ٤.

٣١ - حلية الأولياء ٣/٣٦٣. وراجع: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/٩١.

٣٢ - شرح علل الترمذي لابن رجب ٥٠.

٣٣ - الكامل في ضعفاء الرجال ٧: ٢٣٩.

٣٤ - راجع أيضاً: تدوين السنة النبوية د. محمد بنكيران.

٣٥ - راجع: فتوح البلدان ٦٦٠، وابن سعد ٣/١٤٤٨.

٣٦ - راجع: دراسات في الحديث ٤٧، والسنة قبل التدوين ٢٩٦.

وهذا يدل على أن ما ذكره بعض المؤرخين يفيد في قلة عدد الكاتبين حين ذاك دون حصرهم جميعاً. وقد أحصى أحد الباحثين المعاصرين عدد المتعلمين في مكة عند ظهور الإسلام وحزم بأنه نحو سبعين متعلماً^(٣٧).

ومثلما وقع زعمهم في عدد الكاتبين في مكة فقد زعموا كذلك قلة عدد الكاتبين في المدينة فلم يتجاوز عددهم على ما ذكره بعض المؤرخين أحد عشر رجلاً.

الإسلام يحض على العلم:

ومهما يكن من شيء فلو سلمنا للقائلين بذلك، فهذه الحالة لم تدم طويلاً بعد انتشار الإسلام، وبعدما نزل من القرآن في أول سورة منه الأمر بالقراءة، والأمر بكتابة ما يخص المسلم من أموال ومعاملات، إلى غير ذلك من الآيات التي جعلت الكتاب حجة، والآيات التي بينت فضل العلم والعلماء، وفي حث الرسول ﷺ على طلب العلم وما قام به من أعمال من شأنها أن تأخذ بأيدي الناس نحو حب العلم والمعرفة، من ذلك أمره ﷺ بتعليم الكتابة للرجال^(٣٨) والنساء^(٣٩)، وإرسال المعلمين في كل جهة لنشر العلم حتى كان التعليم في البيوت وفي المساجد، ومن هذه الأماكن "دار الأرقم" في "مكة" و "دار القراء" في "المدينة"^(٤٠).

كما شجع بعض الصحابة على تعلم لغات أخرى فطلب من زيد بن ثابت أن يتعلم العبرية والسريانية فتعلمهما في خمسة عشر يوماً، فكان يكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب ويقرأ له إذا كتبت إليه^(٤١).

وقد أثمرت هذه السياسة التعليمية للرسول ﷺ، فأصبح عنده ﷺ خمسون كاتباً يكتبون الوحي، والصدقات والمغانم وسائر العقود والمعاملات والمدائنات والمعاهدات وكل ما يهتمُّ الدولة الإسلامية في شؤونها السياسية والاجتماعية، اختصَّ كل كاتب منهم بكتابة نوع من هذه الأنواع^(٤٢).

وانتشرت الكتابة حتى اشتهرت بعض القبائل بإتقانها كقبيلة ثقيف في الطائف، مما دعا عمر بن الخطاب ﷺ أن يجعل كتبة المصحف من قريش وثقيف، ودعا عثمان إلى أن يقول: "اجعلوا المملي من هذيل والكتاب

٣٧ - دلائل التوثيق المبكر، د. امتياز أحمد ١٧٦.

٣٨ - كما في أسرى بدر حيث جعل فداء كل أسير تعليم القراءة لعشرة من صبيان المدينة.

٣٩ - حيث طلب من الشفاء أن تعلم حفصة رضي الله عنها الكتابة، رواه أحمد في المسند ٦/٣٧٢.

٤٠ - طبقات ابن سعد ٤/٢/١٥٠.

٤١ - سنن أبي داود ٣/٣١٨.

٤٢ - التراتيب الإدارية ١/١١٥، وانظر كتاب الوحي د. أحمد عيسى ص ٦٤ - ٧١، فقد أحصى منهم ٤٦ كاتباً، وأحصى الأعظمي خمسين منهم في "كتاب النبي ﷺ" وانظر كتابه دراسات في الحديث ٥٤.

من تقييف (٤٣).

وهذا يشير إلى كثرة عدد الكاتبين، الأمر الذي جعل الخليفة يتخير منهم من يراه صالحاً لهذا الأمر الجليل.

وبذلك تبين لنا أن الصحابة عرفوا الكتابة وأتقنوها، فهل قاموا بكتابة حديث رسول الله ﷺ كما كتبوا

القرآن؟

لا بد أن نعلم أنه قد تعارضت الأوامر أو المبيحات للكتابة مع نواه عنها كذلك. ولا بد من البيان لأن

النهي كاد يمتنع التدوين.

أولاً: الأحاديث الواردة في النهي عن كتابة الحديث النبوي:

١ - الأحاديث المرفوعة:

وهي مروية عن ثلاثة من الصحابة ﷺ هم: أبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت أخرج رواياتهم الخطيب البغدادي في "تقييد العلم"، من ذلك:

١ - ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ في النهي:

أخرج الخطيب البغدادي في "تقييد العلم" بإسناده عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن - قال (الصاغاني) غير القرآن - ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وقال: حدثوا عني ولا تكذبوا علي، ومن كذب علي - قال همام: أحسبه قال: متعمداً - فليتبوأ مقعده من النار" (٤٤).

قال الخطيب بعد رواية هذا الحديث: "تفرد همام برواية هذا الحديث عن زيد بن أسلم هكذا مرفوعاً. وقد روي عن سفيان الثوري أيضاً عن زيد، ويقال إن المحفوظ رواية هذا الحديث عن أبي سعيد الخدري من قوله غير مرفوع إلى النبي ﷺ".

قلت: نسب ابن حجر هذا القول إلى البخاري فقال: "ومنهم من أعلّ حديث أبي سعيد وقال الصواب

وقفه على أبي سعيد، قاله البخاري وغيره" (٤٥).

- وأخرج بسنده من طريق ابن عيينة عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء عن أبي سعيد قال: "

٤٣ - مصادر الشعر الجاهلي ٥٠.

٤٤ - صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزهد، ١٢٩/١٨.

٤٥ - فتح الباري ١ / ٢٠٨.

استأذنت النبي ﷺ أن أكتب الحديث، فأبي أن يأذن لي".

وفي رواية: " استأذنا النبي ﷺ في الكتاب، فأبي أن يأذن لنا " (٤٦).

قلت: وفرق بين أن ينهاهم عن الكتابة وألا يأذن فيها، وسنفصل ذلك لكن نقول ابتداء إن النهي من حديث أبي سعيد هنا لا يثبت.

٢- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه في النهي:

روى الخطيب البغدادي بسنده عن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نكتب الأحاديث فقال: " ما هذا الذي تكتبون؟ " قلنا: أحاديث سمعناها منك، قال: " أكتابًا غير الله تريدون؟ ما أضلَّ الأمم من قبلكم إلا ما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله ". قال أبو هريرة: فقلت أنتحدث عنك يا رسول الله؟ قال: "نعم تحدَّثوا عني ولا حرج، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".

وفي رواية قلنا: فنتحدث عن بني إسرائيل؟ قال: " حدثوا ولا حرج، فإنكم لم تحدثوا عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه ". قال أبو هريرة: "فجمعناها في صعيد واحد فألقيناها في النار".

وفي رواية: "أكتب مع كتاب الله؟ أمحضوا كتاب الله وأخلصوه" (٤٧).

وهناك روايات أخرى عن أبي هريرة وجميع هذه الروايات من طريق عبدالرحمن بن زيد عن أبيه وهي روايات ضعيفة لضعف عبد الرحمن بن زيد (٤٨).

٣- ما رواه زيد بن ثابت رضي الله عنه في النهي:

أخرج الخطيب من طريق المطلب بن عبدالله بن حنطب قال: دخل زيد بن ثابت على معاوية فسأله عن حديث فأمر إنساناً يكتبه، فقال له زيد: " إن رسول الله ﷺ أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه ". وفي رواية: " أن النبي ﷺ نهي أن يكتب حديثه " (٤٩). وهو منقطع، أي ضعيف لأن المطلب لم يسمع من زيد (٥٠).

٤٦- أخرجه الترمذي في السنن: كتاب العلم ٤١/٥ وراجع: تقييد العلم ٣٠،

٤٧- تقييد العلم ٣٠، وأخرجه أحمد في مسنده ١٢/٣.

٤٨- راجع: الجرح والتعديل ٢٣٣/٢، ميزان الاعتدال ٥٦٤/٢.

٤٩- أخرجه أبو داود في السنن: كتاب العلم ٣ / ٣١٨ وأخرجه أحمد في المسند ١٨٢/٥.

٥٠- راجع تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠/١٧٩. وهناك أحاديث أخرى لكنها ضعيفة أعرضت عن ذكرها.

٢ - الأحاديث الموقوفة عن الصحابة رضي الله عنهم في النهي عن كتابة الحديث:

وهي مروية عن سبعة من الصحابة رضي الله عنهم وهؤلاء الصحابة هم: أبو سعيد الخدري، وعبدالله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وأبو هريرة، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، والذين ذكرت رواياتهم علة النهي هم: عمر بن الخطاب، وأبو موسى الأشعري، وابن مسعود.

ثانياً: الأحاديث الواردة في إباحة الكتابة:

الصحابة المبيحون للكتابة:

وهي واردة عن تسعة من الصحابة رضي الله عنهم، منها ما هو مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها ما هو موقوف على الصحابة رضي الله عنهم، وبعض من هؤلاء الصحابة قد روى الأحاديث في النهي عن الكتابة، وهم أبو سعيد الخدري، وعمر بن الخطاب، وأبو هريرة، وابن عباس رضي الله عنهم.
منهم من روى رغبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتابة، وهو في مرض وفاته صلى الله عليه وسلم وهو ابن عباس، ومنهم من روى أمره بالكتابة لأحد الصحابة وهو أبو هريرة، ومنهم من روى إذنه وهو بالكتابة لمن استأذنه في ذلك، وهو عبدالله بن عمرو بن العاص، ومنهم من روى إذناً عاماً بالكتابة، وهو رافع بن خديج.
كما أن هذه الروايات بينت من كتب من الصحابة، وهم أبو بكر، وعلي، وابن عباس، وأنس، وأبو سعيد الخدري، ومن استحسنت الكتابة وهو أبو أمامة، ومن أمر بها وهما عمر بن الخطاب، وأنس، ومن شجع عليها، وهو علي رضوان الله عليهم أجمعين، فإلى هذه الروايات:

١ - حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما:

أخرج الخطيب من طريق عبيد الله بن أبي رافع قال: كان ابن عباس يأتي أبا رافع فيقول: ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كذا؟ ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كذا؟ ومع ابن عباس ألواح يكتب فيها (٥١).

٢ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: "ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب" (٥٢).

٥١ - تقييد العلم ٩١، ورواه ابن سعد في الطبقات ٢/٢/١٢٣.

٥٢ - صحيح البخاري، كتاب العلم ١/٢٠٦، بشرحه فتح الباري. يلاحظ أن حديث الترمذي عن أبي هريرة قال: كان رجل

- وروى أبو داود في سننه عن أبي هريرة قال: لما فتحت مكة قام النبي ﷺ فذكر الخطبة - خطبة النبي ﷺ قال: فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال: يا رسول الله اكتبوا لي، فقال: "اكتبوا لأبي شاه" (٥٣).

٣ - حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

عن عبدالله بن عمرو قال: "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنَهَنِي قريش ... فقال: "اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق" (٥٤).

٤ - حديث أنس بن مالك ﷺ:

وعن ثمامة قال: "حدثني أنس أن أبا بكر كتب له فرائض الصدقة الذي سنَّه رسول الله ﷺ" (٥٥). وكان يقول لبنيه: "قيدوا العلم بالكتاب" (٥٦).

٥ - حديث أبي سعيد الخدري ﷺ:

وعن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري قال: "ما كنا نكتب غير القرآن والتشهد" (٥٧).

٦ - حديث عمر بن الخطاب ﷺ:

عن عمرو بن أبي سفيان قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: "قيدوا العلم بالكتاب" (٥٨).

٧ - حديث علي بن أبي طالب ﷺ:

من الأنصار يجلس إلى النبي ﷺ فيسمع من النبي الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أسمع منك الحديث فيعجبني ولا أحفظه، فقال ﷺ: "استعن يمينك" وأوماً بيده للخط.

٥٣ - بهذا اللفظ أخرجه: أبو داود في السنن: كتاب العلم ٣/٣١٩، وأخرجه البخاري في الصحيح كتاب العلم مطولاً ٢٠٥/١.

٥٤ - سبق تخريجه.

٥٥ - تقييد العلم ٨٧، وأخرجه البخاري في كتاب الزكاة (٣/٣١٢) بشرح فتح الباري، بنحو هذا اللفظ.

٥٦ - تقييد العلم ٩٦، وصححه الألباني برقم ٢٠٢٦ في السلسلة الصحيحة (٤٢/١).

٥٧ - تقييد العلم ٩٣، وفي سنن أبي داود، كتاب العلم (٣/٣١٨).

٥٨ - تقييد العلم ٨٨، والحديث: أخرجه الدارمي في سننه ١/١٣٨، والحاكم في المستدرک (١ / ١٠٦).

أخرج البخاري عن أبي جحيفة قال قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة، قال فقلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: "العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر".

وعن طارق قال: رأيت علياً على المنبر وهو يقول: " ما عندنا كتاب نقرؤه عليكم، إلا كتاب الله عز وجل وهذه الصحيفة، وصحيفة معلقة في سيف عليه حلقة من حديد وبكراته من حديد، فيها فرائض الصدقة قد أخذها من رسول الله ﷺ" (٥٩).

وعن المنذر بن ثعلبة عن علي ﷺ قال: "من يشتري مني علماً بدرهم؟ قال أبو خيثمة: "يقول يشتري صحيفة بدرهم يكتب فيها العلم" (٦٠).

٥٩ - صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب العلم ١ / ٢٠٤.

٦٠ - تقييد العلم ٩٠، وإسناده صحيح. ورواه أبو خيثمة في العلم ٣٤.